ISSN: 2321-7928

أضواء على جهود الإمام عبد الحميد الفراهي
في مجال الدراسات القرآنية

- د. عظمت الله[1]

مدخل إلى الموضوع: الإمام عبد الحميد الفراهي اسم غني عن التعارف لكلّ مَنْ له شغف بعلوم القرآن ودراساته على أرض الهند بشكل خاص وفي العالم الإسلامي بشكل عام، لما حاول الإمام بكل ما أوتي من علم وأهلية ورسوخ في العلم، بفضل من الله وتوفيقه، بذل كلّ غالٍ ونفيس في سبيل خدمة التنزيل الحكيم، فيما أتى بلطائف فريدة وأبحاث جديدة ذات الصلة بعلوم القرآن على الباحثين والمهتمين بخدمة كتاب الله المجيد والاستفادة منه تدبرًا وتأملًا.

ويتضح، في أعقاب دراسة حياته المفعمة بالإنجازات العلمية والأدبية ولاسيما الدراسات القرآنية، أنّ هذا الإمام الذي جعله الله رجلًا موهوبًا في مجال العلوم واللغات والفنون، كرّس حياته وطاقته على تدبر القرآن الكريم معنًى ومفهومًا ولغة وتفسيرًا وتأويلًا للآيات القرآنية وما لها شأن بالعلوم واللغات. حتى أنه عكف على هذا العمل النبيل عكوفًا جادًّا لفترة طويلة من الزمن، تستغرق حوالي أربعة عقود من الزمن، فيما قدّم الإمام الفراهي إسهاماتٍ قيّمة وخدمات استثنائية وفريدة من نوعها في مجال علوم القرآن، حتى حظي المجال بمنهج جديد علمًا ومعرفة وفكرًا وتدبرًا.

فهذا المقال يسلّط الضوء على الجهود المشكورة التي بذلها الإمام الفراهي في هذا الصدد، وإنها محاولة بسيطة لنطلع من خلالها، على شغف الإمام بالقرآن تدبرًا

[1] أستاذ مساعد (متعاقد)، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي، الهند

وخدمة، مما أدّى إلى تقديم الإسهامات الهامّة واللطائف الفريدة في علوم القرآن. هذا ولا يمكن اعتبار هذه المحاولة بأنها استوعبت كافة الإبداعات والأمور التي أتى بها الإمام ضمن أعماله وإنجازاته في علوم القرآن.

نبذة عن الإمام الفراهي: يُعدّ الإمام الفراهي المعروف بحميد الدين (عبد الحميد) بن عبد الكريم بن محمد باقر الأنصاري (1863-1930م)، من أحد الشخصيات الفذة التي أنجبتها الهند في تاريخها المشرق، قلّما يوجد له مثيل، وتلألأت هذه الشخصية في أفق العلم والأدب شبه القمر البازغ في القرن السابع عشر من الميلاد في شرقي الهند. وتربّى في كنف والده حيث حفظ القرآن الكريم في صغر سنّه، ثم استفاد من نخبة العلماء والأدباء والأساتذة البارعين الذين كان لهم قدم راسخة في مجالات العلوم والآداب، مثل العلّامة شبلي النعماني، والشيخ عبد الحي الفرنكي محلي بمدينة لكناؤ، والعلّامة فيض الحسن السهارنفوري بمدينة لاهور، كما أنه نهل من مناهل المؤسسات التعليمية الحكومية مثل جامعة علي غراه الإسلامية وجامعة إله آباد، فكان له جولة وصولة في بلاد الهند شرقًا وغربًا ليشفي غليله ويروي ظمأه من منابع العلم والفن علمًا وفكرًا وثقافة.

على منابر التدريس: بدأ الإمام الفراهي مهامّ التدريس من مدرسة الإسلام بمدينة كراتشي، كأستاذ اللغة العربية، ثم في كلية علي غراه الإسلامية، وبعد ذلك تم تعيينه كأستاذ الأدب العربي في جامعة إله آباد، ومن هنا توجّه إلى مدينة حيدرآباد ليلتحق بكلية دار العلوم كمدير لها. إذ أنه خدم كلًّا من أكاديمية دار المصنّفين ومدرسة الإصلاح في أواخر أيام حياته. وبعد قضاء الحياة الحافلة بالإنجازات العلمية والأدبية في مجالات الآداب والفنون ولاسيما في علوم القرآن. لقد انتقل الإمام الفراهي إلى رحاب الله وذلك في اليوم الحادي عشر من شهر يناير عام 1930م. هكذا إنه عاش أكثر من ستة عقود من ربيع حياته في هذا الكون. وخلال تلك الفترة، إنه ملأ الناس وشغل الدنيا بإسهاماته وإبداعاته العلمية والأدبية والتي يربو عدد مؤلفاته على 20

مؤلفًا من أهمّها جمهرة البلاغة، إمعان في أقسام القرآن، الرأي الصحيح في من هو الذبيح، مفردات القرآن، دلائل النظام، التكميل في أصول التأويل، أساليب القرآن، في ملكوت الله، والقائد إلى عيون العقائد، وتفسير نظام القرآن، وترجمة 20 سورة من القرآن- من سورة القيامة إلى سورة الناس- وغيرها من الكتب الأخرى في اللغة الفارسية أيضًا. وثمة كتب أخرى تم إعدادها في شكل الكتب والرسائل بعد وفاة الإمام، والتي تحتوي على مذكراته ومقالاته العلمية. وإن دلّت هذه الإسهامات القيمة على شيء فإنها تدلّ على جدارته وشغفه وتفانيه في خدمة العلم والفن ولاسيما التدبر والتفكر في كتاب الله العظيم ليأتي بما وفّق من علم ورأي وتأويل وتفسير، لتعم الفائدة وليخلق جوًّا صالحًا مؤاتيًا لمن يرغب في الاستفادة من القرآن.

جدير بالذكر في سياق حياة الإمام الفراهي، أنه كان رجلًا مواظبًا على العبادات والأعمال الدينية كلها منذ أن بلغ سنّ الرشد، بما أنه واظب على قيام الليل منذ سنّ الثالثة عشر من عمره.[1] وفي كبر سنّه، حيثما مكثب أو قضى الإمام أيامًا وليالي نخلق جوًّا مفعمًا بالنشاط والحماس والشوق لدى كل من حوله، مما أثار وشجّعهم على صالح الأعمال مثل الصلاة بالجماعة والحديث عن القرآن والسنة النبوية، كما يكتب الشيخ عبد الماجد الدريا آبادي:

"الشيخ الفراهي لم يكن مهتمًّا بإقامة الصلاة لوحده فحسب، بل كان يبدأ الآخرون أيضًا الاهتمام بالصلاة بمهابته ورعبه، فطالما كان الإمام يقيم في دار المصنفين فيكون هناك نشاط واهتمام بالغان لإقامة وأداء الصلوات".[2]

وطبعًا يرجع الفضل كله إلى توفيق الله، في هذا الصدد، كما ثمة بركات من القرآن الكريم الذي حفظه الإمام عن ظهر القلب في أيام طفولته، وتلك نعمة لا يمكن أن

[1] ذكر فراهي، ص 837

[2] معاصرين، ص 122

يشعر بها إلا صاحب هذا الحظ العظيم ولاسيما إذ حالفه الحظ تلقي العلوم الدينية بما فيها علوم القرآن والسنة. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ويا لها من هذا الفضل، فنعم الرجل الذي حظي بهذه النعمة.

شغف الإمام بتدبر القرآن: وفي ضوء ما سبق ذكره من سياق الإسهامات والإنجازات التي قدّمها الإمام الفراهي خلال حياته الممتدة لما يقارب من سبعة عقود من الزمن، بعد الدراسة المتأنية والقراءة الدقيقة لها، نتخلص إلى أنه رجل موفّق يحظى بشغف زائد واهتمام فائق، في تدبر القرآن الكريم. فيتسنى له أنْ يقدم أمام العالم، النقاط واللطائف الاستثنائية والفريدة التي يتميز بها القرآن الكريم. وكان هذا الشغف يخاطر في قلبه ليلاً ونهارًا، حتى تعود على أنْ يقضي أوقاته في التدبر والتفكر في هذا الكلام الرباني يومياً منذ الساعة الثالثة فجرًا حتى التاسعة صباحًا كلّ يوم.[1]

وفيما يخصّ مدى شغفه في تدبر القرآن، سلّط عدد كبير من الكتّاب الهنود الضوء على هذا الاتجاه، إذ كتب الشيخ شاه معين الدين الندوي:

"الشيخ حميد الدين (عبد الحميد) الفراهي من العلماء الذين قد نذروا حياتهم لخدمة الإسلام ولاسيما القرآن الكريم، وكان قد رزقه الله ملكة خاصة على فهم كلامه وعلى حلّ ما يصعب فهم القرآن، ومن هذا المنطلق، وإنه كان ترجمان القرآن بمعنى صحيح في هذا الزمن".[2]

بداية تدبر القرآن الحكيم: جاء على لسان الإمام الفراهي بنفسه أنه بدأ يتدبر القرآن الحكيم منذ أن كان طالباً قبل مرحلة البكالوريوس في كلية علي غراه الإسلامية،[3] وهذه هي الفترة التي كان يكتب خلالها، مؤسس الكلية السير سيّد أحمد خان،

[1] علامه حميد الدين فراهي ايك عظيم مفسّر، ص 47

[2] نفس المصدر، ص 48

[3] ذكر فراهي، ص 168

تفسيرًا للآيات القرآنية حسب وجهات نظره العلمانية وما يعارض مقاصد الشريعة والسنة. مما أثار جدلًا واسعًا في الأوساط العلمية في الهند، ومما يبدو أنّ هذا هو الوضع الذي دفع الإمام الفراهي منذ زمن الدراسة، على تدبر التنزيل الحكيم بكل جدية، وأصبح القرآن شغله الشاغل، ليتسنى له تفسير الآيات القرآنية بالقرآن وليقدّم أمام مرأى ومسمع الناس، أصدقَ مفهومٍ وتفسيرٍ وتأويلٍ للقرآن الحكيم.

ومنذ تلك الفترة، بدأ الإمام الفراهي يكتب حول المواضيع والقضايا والأمور التي تعتبر مشكلة أو تحول دون فهم القرآن فهمًا صحيحًا، فيما ركّز الإمام كل التركيز على ربط السور والآيات مع بعضها البعض كتابة ومعنًى، وذلك حسب ترتيب الآيات والسورة المكتوبة. فانطلقت منه أفكار وآراء تتمثل في تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان.

بينما لا يمكن تحديد أيّ فترة زمنية فيما بدأ الأمام كتابة هذا التفسير على نهجه الخاصّ إلا أنّ هناك خطابًا تلقّاه الشيخ شبلي من الإمام الفراهي الذي قدّم عليه باكورة العمل البدائي لتفسير نظام القرآن، وربما نحدد الفترة البدائية لهذا العمل الهام، بناء على تاريخ هذا الخطاب هو 9 مارس 1903م.[1]

هذا، وبعد قراءة ما كتبه الإمام حول شتى المواضيع العلمية والأدبية، يتضح بأنه كتب مذكرات ومقالات مختلفة باللغة العربية حول المواضيع المختلفة ذات الصلة بعلوم القرآن، وإنّ لها فوائد ومنافع بالغة الأهمية لكلّ مَنْ يرغب في الاستفادة من القرآن الكريم. وفي هذا المنطلق، كان يكتب الإمام الفراهي بكثرة على هوامش المصحف الذي كان يتلو فيه الآيات القرآنية، ويذكر أنّ هناك نسختين من المصاحف التي كتب عليها الإمام شرحًا وتوضيحًا وتفسيرًا للآيات القرآنية على هوامشهما.

إقامة حلقات ودروس للقرآن الكريم: وبسبب شغفه البالغ في تدبر القرآن الكريم،

[1] نفس المصدر، ص 213

كان الإمام الفراهي يقيم حلقات ليلقي فيها دروسًا حول القرآن وتعاليمه في كل مكان زاره أو أقام فيه، ومن أهم هذه الأماكن مدينة كراتشي، ومدينة حيدر آباد، وندوة العلماء بلكناؤ، والجامعة الملية الإسلامية بعلي غراه، ومدينة بنارس انتهازًا لفرصة زيارة شقيقه وكذلك في الحجاز أثناء أداء الحج[1]

دروس للقرآن الكريم في الجامعة الملية الإسلامية بعلي غراه: في أوائل أيام تأسيس هذه الجامعة، زار الإمام الفراهي الجامعة الملية الإسلامية، تلبية لدعوة وجّهها إليه شيخ الجامعة عبد المجيد الخواجه، لإلقاء محاضرات ودورس أمام الطلاب والأساتذة ليستفيدوا منه، ويذكر أنّ الإمام الفراهي مكث ما يقارب من ثلاثة أشهر في حرم الجامعة، وألقى دروسًا قرآنية باللغة الأردية، وكان موضوع الدروس القرآن الكريم بشكل عام.

وذكر صاحب كتاب "ذكر فراهي" أنّ الإمام الفراهي كان يلقي محاضراته وهو واقف، فأولًا كان يتلو الآيات القرآنية، ثم يترجمها، ثم يشرح تفسيرها، ابتداء من الشرح اللغوي وبعد ذلك، كان يلقي الضوء على أهم المطالب والمقاصد ضمن تفسير الآيات القرآنية، وفي الختام، كان يتطرق إلى النقاط الرئيسية واللطائف الجديدة على نحو يترك أثرًا قويًا في أذهان الحضور.[2]

في حيدر آباد: كان الإمام الفراهي يقيم حلقات بعد صلاة المغرب في مدينة حيدر آباد، ليلقي فيها دروسًا وخطابًا حول القرآن وتعاليمه، وطرح الناس عليه أسئلتَهم عن شكوك وغموض.

جدير بالذكر أنّ مدينة حيدر آباد هي أول مكان أقام به الشيخ لغرض التدريس، حيث إنه بدأ إلقاء دروس القرآن.[3]

[1] نفس المصدر، ص 856
[2] نفس المصدر، ص 515
[3] نفس المصدر، ص 403

حلقات قرآنية في مدرسة الإصلاح: كانت مدرسة الإصلاح آخرَ وأهمَّ مكان اشتغل فيه الإمام بإلقاء دروس القرآن كل الاشتغال. حتى ترك بصماته الأخيرة وأفكاره القوية في مجال علوم القرآن. وبدأت المدرسة تعرف باهتمامها الخاص بعلوم القرآن وتفسيره، ونعتز بقول أنّ أحد أبناء هذه الدار وُفِّق بكتابة تفسير مهم للقرآن الكريم باسم "تدبر قرآن"، ألا وهو الشيخ أمين أحسن الإصلاحي، التلميذ الخاص للإمام الفراهي، وذلك على منهج خاص تبنّاه الإمام لأجل كتابة تفسير نظام القرآن.

ويكتب صاحب كتاب ذكر فراهي أنّ إلقاء هذه الدروس القرآنية في مدرسة الإصلاح بدأ في عام 1925م واستمر حتى 1930م.[1]

وكتب السيّد سليمان الندوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "ياد رفتگان":

"أنّ الشيخ جعل القرآن محورًا رئيسيًا للتعليم. وكان يشكل مجموعة تشمل المدرّسين والطلبة المتفوقين، وألقى لهم دروسًا للقرآن الكريم كلها عدة مرات من وجهات النظر المختلفة، مادام حياً".[2]

فترة العمل على علوم القرآن: إذا أمعنّا النظر في قراءة الفترة التي عمل خلالها، الإمام الفراهي، على تدبر وتفكر في القرآن الكريم تعليمًا وتعلّمًا، فإنها تمتد من زمن تعليمه في مدينة علي غراه، حتى وافته المنية، وذلك من عام 1883م حتى عام 1930م، تمتد إلى 47 سنة. وخلال هذه العقود الأربعة من الزمن، أورد الإمام الفراهي بأهم النقاط واللطائف في تفسير القرآن، وأطلق منهجه الجديد لتأويل القرآن بالقرآن.

كتب السيّد سليمان الندوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "ياد رفتگان": "هو الذي اشتغل بتدبر القرآن الكريم ومجرد فهم وتفكر فيه وتعليمه وإلقاء الدروس حوله لمدة

[1] نفس المصدر، ص 519

[2] ياد رفتگان، ص 132.

ثلاثين سنة كاملة".[1]

والأهمية بمكان أنّ الإمام الفراهي نذر أيامه الأخيرة من حياته، على خدمة القرآن وعلومه بشكل خاص، وبعد تقاعده التطوعي من كلية دار العلوم بحيدر آباد في عام 1919م، عكف على هذه الخدمة النبيلة، من مدرسة الإصلاح، وبدأ ينفذ مشاريعه من خلال الكتابات وإلقاء الدروس القرآنية في حرم هذه المدرسة، فقام بإعداد منهج خاص يرتكز على كتاب الله والسنة النبوية، وهذه الفترة المركزة تستغرق عشرين سنة منذ أن بدأ الإمام يزور حرم هذه الدار ثلاثة أيام أسبوعيًا حتى تأثرت به رحمة الله في عام 1930م. رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة.

مجالات العلوم القرآنية: تشمل الكتب والمقالات والمذكرات القيّمة التي كتبها الإمام الفراهي، مجالاتٍ مختلفةً تختصّ بكلمات القرآن، وأسلوبه، وبلاغته، وكلمات الأقسام الواردة في السور المختلفة من القرآن، وحكمة القرآن، ونظم وربط آيات وسور القرآن مع بعضها البعض، وأصول التأويل والتفسير، وتاريخ القرآن، وأسباب النزول، وحجج القرآن، وفقه القرآن، وتفسير 36 سورة من القيامة إلى الناس، وذلك إضافة إلى المحاضرات والحلقات والدروس التي أقامها الإمام الفراهي حول القرآن، وثمة عدد كبير من كتاباته التي سواء لم تكتمل أو لم تنشر في شكل الكتب.

إنجازاته العملية الخاصة بعلوم القرآن: يطيب لي أنْ أوضّح في البداية عن كتاباته، بأنّ كافة الموضوعات التي كتبها الإمام الفراهي في مجال علوم القرآن، كلها في اللغة العربية، ويعتبر معظمها رسائل ومقدمة لتفسير نظام القرآن، ونشرت بعضهما في حياته وبعضها بعد وفاته، ومن أهمها ما يلي:

1. **إمعان في أقسام القرآن:** ألّف الفراهي هذا الكتاب أثناء مكوثه في مدينة علي

[1] نفس المصدر، ص 110

غراه، والذي يحتوي على 55 صفحة، ونشرته المطبعة الأحمدية بمدينة علي غراه، في عام 1329هـ الموافق لـ1911م،[1] تناول فيه المعلّم الفراهي كلمات وحروف وآيات القَسم، التي وردت في القرآن الكريم، شرحًا لماذا أقسم الله جلّ وعلا في القرآن بالحروف والكلمات والآيات، إذ يمثّل الموضوع الرئيس لهذا الكتاب شرح الأقسام شرحًا فريدًا.

وفيما يخص بأهمية هذا الكتاب، كتب الدبلوماسي السعودي في الهند السيّد يوسف الفوزان إلى وكيل الدائرة الحميدية السيّد عبد الرحمن ناصر، ما يلي:

"وبعد، فقد اطلعنا على الكتاب المقدّم من قبلكم الموسوم (إمعان في أقسام القرآن) من تصانيف الشيخ النابغة المعلّم عبد الحميد الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغفر له- والكتاب لا شك في أنه يدلّ على سعة علم المصنف والفقيد وتخصصه في أسرار القرآن الحكيم، وأعتقد أنّ طلاب الشريعة وعلوم القرآن بالأخص سوف يجدون فيه مبتغاهم ويفيدون منه فائدة جلة، وشكر الله سعيكم ووفّقنا جميعًا لما فيه الخير".[2]

2. **جمهرة البلاغة:** هذا الكتاب يتضمن مقالات وكتابات عديدة كتبها الإمام الفراهي في حياته، حول البلاغة والأسلوب البلاغي في القرآن الكريم، ويحتوي هذا الكتاب على 88 صفحة، وطُبعت النسخة الأولى لهذا الكتاب في عام 1360هـ الموافق لـ1941م[3] من قبل الدائرة الحميدية. ثم صدره له طبعات ثلاث اثنتان منهما محقّقتان من دبي وتركيا.

ويذكر أنّ الإمام الفراهي ألّف هذا الكتاب أثناء قيامه في مدينة كراتشي، في عامي 1904-1905م، مما يتضح من رسالة كتبها الشيخ شبلي له في 3 يونيو

[1] ذكر فراهي، ص 681
[2] نفس المصدر، ص 686
[3] نفس المصدر، ص 677

عام 1905م.[1]

وطبعًا، تناول الإمام الفراهي في هذا الكتاب، نقاطًا جديدة وفريدة فيما يخصّ شرح البلاغة والفصاحة في القرآن الكريم بشكل خاص، والكتاب له أهمية خاصة في شرح الإعجاز البلاغي من القرآن الكريم، كما يزيد الكتاب أهمية في مجال البلاغة والفصاحة بشكل عام.

3. **مفردات القرآن:** يأتي هذا الكتاب ضمن الكتب التي كتبها الإمام الفراهي لفهم معاني القرآن الكريم فهمًا صحيحًا، ويحتوي على 74 صفحة، طُبع هذا الكتاب لأول مرة، في شهر فبراير عام 1940م،[2] وقامت بنشرها مطبعة الإصلاح ببلدة سرائمير، بعد وفاة الإمام الفراهي.

شرح الإمام الفراهي في هذا الكتاب، كلمات خاصة من القرآن الكريم، على نحو يختلف عن شرح المفسرين وأصحاب التأويل لنفس الكلمات، بينما كتب الإمام في مستهل مقدمة الكتاب، حول خلفية كتابة هذا الكتاب وغرضه، وذلك ما يلي:

"أما بعد، فهذا كتاب في مفردات القرآن، جعلته مما نحول إليه في كتاب نظام القرآن لكي لانحتاج إلى تكرار بحث المفردات إلا في مواضع يسيرة، يكون فيها الصحيح غير المشور، فسنذكر بقدر ما تطمئن به القلوب السليمة، ولا نورد في هذا الكتاب من الألفاظ إلا ما يقتضي بيانًا وإيضاحًا. أما لبناء فهم الكلام أو نظمه عليه فإنّ الخطأ ربما يقع في نفس معنى الكلمة، فيبعد عن التأويل الصحيح أو في بعض الوجوه، فيغلق باب معرفة النظم، وأما عامة الكلمات فلم نتعرض لها وكتب اللغة والأدب كافلة به. ومع ذلك تجد هذا الكتاب إن شاء

[1] نفس المصدر، ص 675

[2] نفس المصدر، ص 693

الله محتويًا على جلّ ما يقتضي الشرح من ألفاظ القرآن".[1]

4. **دلائل النظام:** قامت بنشر هذا الكتاب، الدائرة الحميدية، في عام 1968م، مشتملة على 127 صفحة،[2] والذي يحتوي على بعض الكتابات التي تناولها الإمام الفراهي ضمن جهوده الهادفة إلى عرض نظم القرآن، وقام بجمعها وتدوينها الشيخ بدر الدين الإصلاحي، الرئيس السابق لهذه الدائرة، فإنه يكتب عن هذا الكتاب ما يلي:

"فهذا أول مجموعة من أفكاره النادرة القرآنية التي وفّقني الله تعالى بجمعه وترتيبه، وهكذا أجمع كلّ تأليف له وأنشره واحدًا بعد واحد، إن شاء الله".[3]

وفي اقتباس آخر:

"فاعلم أنّ هذا الكتاب ليس إلا مجموعًا من أفكار الإمام الفراهي، فقد ابتكرها لكتابة هذا- دلائل القرآن- ولكن لم يتسر له أنْ يرتّبها ما عدا عدة فصول توجد في أوائله (1-10) فما زاد على ذلك فهو مما كان مبثوثًا في مخطوطاته، فجمعته أنا كما وجدته ورتّبته حسبما رأيت مناسبًا فإن أصبت فيه فبتوفيق ربي، وإن أخطأت فمن نفسي، والأستاذ بريء منه".[4]

وفيما يخصّ موضوع هذا الكتاب، يكتب الشيخ الإصلاحي كما يلي:

"معرفة النظم في معاني الآيات والسور، هو الموضوع لكتابنا هذا. وأما نظم القرآن من حيث إنه على ترتيب كان في عهد النبي صلوات الله وسلامه عليه، فهو أمرٌ لا يشك فيه إلا من جلّ بالتاريخ، فإنّ السور كلها كانت تقرأ في

[1] نفس المصدر، ص 692
[2] نفس المصدر، ص 695
[3] نفس المصدر، ص 695
[4] نفس المصدر، ص 695

الصلاة في عهد النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وبلغ هذا حدّ التواتر. فإنهم كانوا يقرؤونها في صلواتهم وكانوا يسمعون النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقرأها".[1]

5. **التكميل في أصول التأويل:** يتضمن هذا الكتاب 70صفحة، وأصدرت المطبعة الحميدية لمدرسة الإصلاح، طبعتها الأولى في عام 1388هـ الموافق لـ1968م.[2] وألّف الإمام الفراهي هذا الكتاب ضمن 12 كتابًا كمقدمة لتفسير نظام القرآن، مشيرًا إلى أنه يمكن اعتباره كفنّ مستقل لعلوم التفسير، وتم تأليف هذا الكتاب بحثًا عن الأصول التي من شأنها أن تكون عونًا في فهم القرآن الكريم فهمًا صحيحًا. كما كتب الإمام الفراهي عن هذا الكتاب، ما يلي:

"غاية هذا الكتاب هي معرفة الأصول التي تعين على فهم القرآن حسب أقسام البشر. وهذه الأصول تنقسم على قسمين: الأول ما يعصم عن الزيغ في التأويل، والثاني ما يهدي إلى الحكم التي يتضمنها كتاب الله".[3]

6. **أساليب القرآن:** يشمل هذا الكتاب مجموعة من الكتابات والمذكرات مثل الكتب الأخرى التي ألّفها الإمام الفراهي كمقدمة لنظام التفسير، وإنّ هذا الكتاب له 56 صفحة، نشرت المطبعة الحميدية نسختها الأولى في عام 1389هـ الموافق لـ1969م،[4] وقام الشيخ بدر الدين الإصلاحي بجمع كافة الكتابات والإشارات المكتوبة في شكل الكتاب المسمى بـ"أساليب القرآن"، بينما كان الإمام الفراهي سمّاه بـ"كتاب الأساليب"، وفيما يلي اقتباس من نفس الكتاب:

"هذا الكتاب ليس ككتاب المفردات مختصًا بالقرآن، ولكنه متضمن لفنّ

[1] نفس المصدر، ص 697
[2] نفس المصدر، ص 698
[3] نفس المصدر، ص 699
[4] نفس المصدر، ص 701

برأسه، يجري حكمه في عموم أساليب كلام العرب "غير ما اختص بالقرآن لكونه منزلًا على رسول".[1]

كما شرح الشيخ الإصلاحي كل ما ورد في هذا الكتاب معنًى ومضمونًا وغرضًا، في الاقتباس التالي:

"وبعد، فإنّ هذا مجموع من الإشارات التي اختزنها أستاذنا الإمام الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكتابه الأساليب، قد أفرده لذكر وجوه الأساليب في القرآن، وبيان دلالاتها وموقع استعمالاتها، ولكنه لم يتيسر له أن يؤلف هذا الكتاب الجليل، وينقل فيه الإشارات إلى مواضعها، وبقيت كما كانت مبثوثة في مخطوطاته ومبعثرة فيها، ولكنها إذا كانت مشتملة على مباحث مهمة وفوائد جليلة، فأردت أنْ أجمع هذه الدرر وأنظمها في سلك، لعلها تكون نافعة لمن أراد أن ينتفع بها، فجمعتها في هذا المجموع من غير زيادة ولا نقصان. فالرجاء من الذين سيقرؤونه أن لا يعاملوه ككتاب مرتّب، بل ينظروا فيه بالإمعان والتدبر، لأنه مجموع من الإشارات".[2]

7. **في ملكوت الله:** نشرت الدائرة الحميدية في عام 1971م[3] النسخة الأولى لهذا الكتاب الذي يتضمن كتابات عديدة دبّجها يراع الإمام الفراهي في حياته ضمن رسائل أو مقدمة لنظام القرآن، ولكنه لم يتم طبعها في أيام حياته، وهذا الكتاب يعدّ من أهم الكتابين اللذين حظيا بأولوية في نشر سلسلة من كتابات الإمام الفراهي. فحاول الشيخ بدر الدين الإصلاحي جمع هذه الكتابات وترتيبها في شكل هذا الكتاب.

وأذكر هنا، اقتباسًا من هذا الكتاب، يختص بأهمية هذا الكتاب موضوعًا وعلمًا:

[1] نفس المصدر، ص 701

2 نفس المصدر، ص 701

3 نفس المصدر، ص 704

"أما بعد فهذا كتاب من مقدمة نظام القرآن، باحث عن مسألة ملكوت الله الجامعة لمعارف مهمة من علوم القرآن التي لا يتطلع عليها الطالب إلا إذا قام على هذه النقطة الجامعة التي تنفجر منها أنهار العلوم، كأنها نبعت من عين جموم.

وإذا لم يتعرض لها أحد من علمائنا، ينبغي أولًا أن نعرفها ونبين وجوهها، ونذكر المعارف التي يحصل منها، حتى يتضح موضعها في علم الدين، ويتبين نفعها لطلاب الطمأنينة واليقين".[1]

8. **القائد إلى عيون العقائد:** هذا الكتاب أيضًا يشمل كتابات ومذكرات دبّجها يراع الإمام الفراهي حول أهم المسائل الواردة في القرآن الكريم، ونشرت المطبعة الحميدية نسختها الأولى لهذا الكتاب في عام 1975م، يحتوي الكتاب على 200 صفحة،[2] والذي يعتبر من أهم الكتب التي ألّفها الإمام كمقدمة لتفسير نظام القرآن.

تناول الإمام الفراهي في هذا الكتاب، موضوعات تتعلق بقضية العقيدة وغيرها من القضايا الأخرى مثل صفات الله، والحسن والقبيح بأمر الله ومشيئته، والهداية والضلال، ورؤية الله، والشفاعة في ضوء القرآن الكريم.

9. **حكمة القرآن:** يحتوي هذا الكتاب على عدة مباحث، ويبلغ إجمالي عدد صفحاته 210 صفحة، ونُشر الكتاب بعد وفاة الإمام الفراهي، وذلك من خلال جمع المذكرات والكتابات التي صدرت من قلمه الرصين حول موضوع حكمة القرآن. ويعتبر هذا الكتاب مؤلفًا علميًا قيّمًا يحتضن بطيّه معارف ومعلومات علمية وفكرية عن كلمة الحكمة التي وردت في القرآن الكريم من مختلف النواحي، كما ينطق الكتاب بشتى المعاني والمفاهيم التي تنبع من هذه

[1] نفس المصدر، ص 705

[2] نفس المصدر، ص 707

الكلمة، وطبعًا، يستقطب عنوان هذا الكتاب كلّ من له أيّ شغف بعلوم القرآن ودراساته علمًا وفكرًا وعملاً، بما يسعى المحبّون بالعلم دومًا، معرفة كل ما يكشف كبار العلماء والباحثوين عما يحمله القرآن الحكيم من الحكمة والرسالة والعظة والنصيحة، وذلك ليس للمسلمين فحسب وإنما لسائر الإنسانية جمعاء.

إلى ذلك، تتوافر بعض المذكرات والمقالات بأسماء مختلفة من أهمها حجج القرآن، أوصاف القرآن، وفهم القرآن وتاريخ القرآن، تشتمل هذه المذكرات على بعض الصفحات، ويتم نشرها بعد حسبما كتبه صاحب كتاب "ذكر فراهي" ضمن فصل الكتاب المسمّى بالمذكرات غير المطبوعة.

يضاف إلى ما سبق ذكره من الكتب والرسائل التي صدرت من قلم الإمام الفراهي الرصين، ثمة تفاسير لعدة سور من القرآن الكريم ألّفها الإمام الفراهي باللغة العربية ليستفيد منها العلماء والباحثون بشكل خاص، وأذكر كتب تفسير هذه السورة حسب الترتيب الزمني من حيث التأليف وكما ذكر مؤلف كتاب "ذكر فراهي"، وهي كما يلي:

10. **فاتحة تفسير نظام القرآن:** ألّف الإمام الفراهي هذا الكتاب كتعريف على تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، وذلك أول جزء لهذا التفسير، يتحدث عن أهمية نظم القرآن وبعض الميزات الأخرى لهذا التفسير، ويحتوي الكتاب على 34 صفحة، ونُشر في عام 1938م[1] بعد وفاة الإمام.

1. **تفسير سورة أبي اللهب:** نُشر هذا الكتاب من مطبعة "معارف" بأعظم غراه، والذي يعتبر من بعض الكتب التي كتبها الإمام في أوائل حياته، وذلك حسب التفاصيل المذكورة في كتاب "ذكر فراهي"، وجاء ذكر هذا الكتاب لأول مرة،

[1] نفس المصدر، ص 724

في رسالة كتبها العلامة شبلي النعماني إلى الإمام الفراهي في عام 1905م.

2. **تفسير سورة القيامة:** هذا الكتاب يحتوي على 21 صفحة، ونُشر في عام 1906م، حسب التفصيل الوارد في كتاب "ذكر فراهي"، ويعتبر هذا الكتاب جزءًا من تفسير نظام القرآن، وصدرت الطبعة الثانية لهذا الكتاب في عام 1983م.[1]
3. **تفسير سورة الكافرون:** يشمل هذا الكتاب 15 صفحة، ونُشر في عام 1908م،[2] حسب تفصيل كتاب "ذكر فراهي"، وكذا ترجم إلى اللغة الأردوية.
4. **تفسير سورة التحريم:** هذا الكتاب له 27 صفحة، نشرتها مطبعة فيض عام بعلي غراه في عام 1908م.[3]
5. **تفسير سورة الشمس:** نُشر هذا الكتاب في عام 1908م، من مطبعة فيض عام بعلي غراه، ويحتوي على 19 صفحة.[4]
6. **تفسير سورة العصر:** نشرت مطبعة فيض عام هذا الكتاب الذي يحتوي على 23 صفحة، في عام 1908م.[5]
7. **تفسير سورة عبس:** قامت مطبعة "معارف" بأعظم غراه، بنشر هذا الكتاب في عام 1920م، وذلك بعد وفاة الإمام الفراهي، ويحتوي الكتاب على 25 صفحة.
8. **تفسير سورة الذاريات:** يحتوي هذا الكتاب على 47 صفحة، ونشرته مطبعة "معارف" بأعظم غراه، في عام 1920م[6] حسب بعض التصريحات الواردة

[1] نفس المصدر، ص 709
[2] نفس المصدر، ص 711
[3] نفس المصدر، ص 711
[4] نفس المصدر، ص 713
[5] نفس المصدر، ص 713
[6] نفس المصدر، ص 715

بشأن هذا التفسير.

9. **تفسير سورة التين:** يشمل هذا الكتاب 27 صفحة، قامت بنشره لأول مرة، مطبعة "معارف" بأعظم غراه، في عام 1930م.[1]
10. **تفسير سورة الإخلاص:** كتب الإمام الفراهي تفسيرًا لسورة الإخلاص باللغة الأردوية وذلك لغرضٍ ما، لأنه وحسب العادة، كان الإمام الفراهي يكتب تفاسير السورة الأخرى بالعربية لتكون أجزاء من تفسير نظام القرآن، على كل، نشرت مطبعة "معارف" تفسير سورة الإخلاص لأول مرة في عام 1931م.[2]
11. **تفسير سورة الكوثر:** كتب الإمام الفراهي 45 صفحة لتفسير سورة الكوثر التي تحتوي على ثلاث آيات فقط، ونشرت مطبعة "معارف" هذا التفسير في عام 1934م.[3]
12. **تفسير سورة المرسلات:** كتب الإمام تفسير هذه السورة في 20 صفحة، ونشرته مطبعة "معارف" في عام 1936م.[4]
13. **تفسير سورة الفيل:** كتب الإمام تفسير سورة الفيل في 41 صفحة، ونشرته مطبعة "معارف" في عام 1936م.[5]
14. **تفسير سورة آية بسم الله:** كتب الإمام الفراهي تفسيرًا لآية بسم الله الكريمة، كجزء مستقل لتفسيره، ويحتوي هذا التفسير على 6 صفحات ونشر مع فاتحة تفسيره "نظام القرآن".[6]

[1] نفس المصدر، ص 716
[2] نفس المصدر، ص 716
[3] نفس المصدر، ص 719
[4] نفس المصدر، ص 720
[5] نفس المصدر، ص 720
[6] نفس المصدر، ص 724

15. **تفسير سورة الفاتحة:** كتب الإمام الفراهي تفسير سورة الفاتحة كأول جزء لتفسيره، ويحتوي هذا التفسير على 23 صفحة، والذي نشر لأول مرة في عام 1938م.[1]
16. **تفسير سورة البقرة:** كتب الإمام الفراهي تفسير 62 آية من هذه السورة وإنه طبع فيما بعد على حدة وفي مجموعة تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" ويحتوي هذا التفسير على 150 صفحة.[2]
17. **تفسير سورة آل عمران:** كتب الإمام الفراهي تفسير 31 آية من هذه السورة، والذي يحتوي على 29 صفحة[3] وذلك مطبوع ضمن مجموعة تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان".

وجدير بالذكر أنّ الترجمة الأردوية لتفسير سورتي البقرة وآل عمران سبق أن نشرها في بعض المجلات وفي مجموعة مستقلة.

خلاصة المقال: أودّ أنْ أؤكد أوّلًا أنّ هذا المقال عصارة مطالعتي عن الإمام الفراهي وعن شغفه بالقرآن الكريم عالمًا ومتعلمًا ثم مفسّرًا ثم واعظًا بالدراسات القرآنية، حرصًا مني على معرفة هذه الشخصية العملاقة، فقرأت عددًا من الكتب التي تتحدث عن الإمام الفراهي ولاسيما "ذكر فراهي" للدكتور شرف الدين الإصلاحي، كما قرأت كتب الإمام ومؤلفاته بغرض الاستفادة منها وليسهل علي السبيل إلى فهم القرآن الكريم والعمل به بفضل الله وتوفيقه، فطبعًا استفدت كثيرًا من مؤلفاته القيمة، حتى تعرفت خلال هذه المطالعة، على بعض الأعمال التي كان الإمام الفراهي يعمل عليها ويتعود عليها في حياته، وقد جاء ذكرها في هذا المقال في عدة أماكن، ويبدو أنّ هذه الأعمال

[1] نفس المصدر، ص 724
[2] نفس المصدر، ص 751
[3] نفس المصدر، ص 752

والعادات الصالحة قد لعبت دوراً جوهريًا في حياة الإمام، فظهرت نتائج مفيدة وفريدة في ضوء الآية الكريمة "إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا".

وفيما يتعلق بمؤلفات الإمام وكتبه، فيتضح جليًا أنّ الإمام الفراهي كان قد بدأ كتابة رسائل عديدة حول علوم القرآن لتكون أجزاء من تفسيره "نظام القرآن"، فتم نشر بعضها في حياته، وتم جمع وترتيب بعضها ونشرت بعد وفاة الإمام، حتى لم يحالفه الحظ ليكمل بعض الرسائل الأخرى فظلّت غير كاملة. ومن جانبي، حاولت لأسلّط الضوء على كافة كتاباته التي تتعلق خاصة، بعلوم القرآن وتفسيره، إضافة إلى حياته الشخصية والمهنية والعلمية.

وبطبيعة الحال، أؤكد في خلاصة القول أنّ المؤلفات والكتابات التي صدرت من قلم الإمام الفراهي الرصين، تستحق مطالعة وقراءة بإمعان وتعمق، ليمكن الاستفادة علمًا وفكرًا فيما يخصّ فهم القرآن الكريم، ويجب على كلّ مَنْ يريد التدبر والتفكر في القرآن الكريم والاستفادة منه، أنْ يطالع هذه الكتب القيمة في جانب، وفي جانب آخر أنّ هذه المؤلفات الاستثنائية والفريدة من نوعها إن دلّت على شيء فإنما تدلّ على شغف صاحبها وتضلعها وتبحرها في علوم القرآن ودراساته. والله ولي التوفيق.

المصادر والمراجع

1. ذكر فراهي (سيرة الإمام الفراهي بالأردوية) للدكتور شرف الدين الإصلاحي، دار التذكير، أردو بازار، لاهور، 2002م
2. علامه حميد الدين الفراهي ايك عظيم مفسّر (سيرة الإمام الفراهي بالأردوية) لمحمد عنايت الله سبحاني الإصلاحي، مكتبة الإصلاح، سرائمير، أعظم كره، 1978م
3. معاصرين (سير الشخصيات المعاصرة للكاتب بالأردوية) لمولانا عبد الماجد الدريابادي، إدارة إنشاء ماجدي، رابندر سراني، كلكتا، 1979م
4. ياد رفتگان (سير الشخصيات المعاصرة للكاتب بالأردوية) للسيد سليمان الندوي، مجلس نشريات إسلام، كراتشي، 2003م